مبادئ القرآن الأخلاقية

د. محمد عبد السلام العالم
كلية الآداب والعلوم
جامعة المرقب

لما كانت الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة هي الدعامة الأولى في بناء كل مجتمع سليم لأنها تبين ما ينبغي أن تكون عليه معاملة الناس مع بعضهم بعضا وتشرح الغاية التي ينبغي أن يقصدوا إليها في أعمالهم لتنير لهم السبيل في حياتهم، لأجل ذلك شدد الإسلام على التمسك بها وبناها على جملة من المبادئ يمكن تقسيمها إلى قسمين ، **القسم الأول:** يختص بالفضائل الإنسانية التي أمر بها وتشمل : الاستقامة وإصلاح النفس وتزكيتها - الإحسان - التقوى - الصبر - العفو - الصدق ومظاهره - الإصلاح بين الناس - التعاون - الكلام الحسن - معاشرة الأخيار- والاستئذان والتحية ، **والقسم الثاني:** يختص بالرذائل التي نهى عنها وتشمل : الانقياد لهوى النفس - الكبرياء - الخمر والقمار - الكذب ومظاهره - احتقار الغير - الظن السيئ والتجسس والغيبة - الزّنا ــ الغضب - الحسد - اللغو - والشراهة .

في هذا البحث سأتحدث وباختصار شديد عن كل عنصر من عناصر هذين القسمين مستشهداً ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على ذلك فأقول وبالله تعالى التوفيق :-

القسم الأول : فضائل الأخلاق التي أمر الإسلام بها

أولاً : الاستقامة وإصلاح النفس وتزكيتها

الاستقامة:

هي أقوى سبب لوقاية الإنسان من النزوع إلى الشر فبها يثبت الإنسان على الخير ويبتعد عن اكتساب الآثام لذلك أولاها الإسلام عناية خاصة ورتب على الالتزام بها الأجر العظيم والثواب الجزيل فقال تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في

الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نُزُلاً من غفور رحيم ﴾[1] وأمر الله تعالى بها نبيه الكريم فقال جل شأنه : ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنّهُ بما تعملون بصير﴾[2].

وأوصى بها رسولنا الكريم ﷺ وجعلها قرينة الإيمان حينما سأله سُفْيَانَ ابن عبد اللَّـهِ الثَّقَفِيِّ حيث قال : « قلت : يا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لي في الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عنه أَحَدًا بَعْدَكَ - وفي حديث أبي أُسَامَةَ :- غَيْرَكَ - قال - قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ » [3].

إصلاح النفس وتزكيتها :

إصلاح النفس وتزكيتها يأتي في المرتبة الثانية بعد الدعوة إلى الاستقامة لئلا يتمادى الإنسان في الشر وليتطهر من الأدناس ويسمو عن النقائص ويثبت على الفضائل وقد وعد الله تعالى من أصلح نفسه بالمغفرة والرضا فقال عز وجل : ﴿يابني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[4] وقال جلّ شأنه :﴿ فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه . إن الله غفور رحيم ﴾[5] ووعد الله من زكى نفسه بالفلاح فقال : ﴿ قد أفلح من تزكى ﴾[6] وقال ﴿ قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها ﴾[7].

فبالاستقامة وإصلاح النفس وتزكيتها ينفتح باب الأمل للناس في رحمة الله ومغفرته وينغلق باب اليأس من إصلاح أنفسهم حتى لا يتمكن من نفوسهم فيجعلهم من الخاسرين .

---

(1) فصلت آية :29-31.

(2) هود آية : 112.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 38 باب جامع أوصاف الإسلام، صحيح مسلم 65/1 .

(4) الأعراف آية :33 .

(5) المائدة آية : 41 .

(6) الأعلى آية : 14 .

(7) الشمس آية : 9-10 .

ثانياً : الإحسان :

الإحسان لغةً : الإنعام والتفضل ويشمل كل فعل حسن[1] ، واصطلاحاً كما عرّفه النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه المشهور بحديث جبريل حينما سأل النبي ﷺ عنه فقال : « ... الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[2]، خُلقٌ حث عليه الإسلام وأعلى منزلته وأمر به واعتبره واجباً طبيعياً على الإنسان فقال تعالى : ﴿ وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾[3] وقال جلّ وعلا : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ﴾[4] وقد جعله الإسلام قرين الإخلاص لله فقال تعالى : ﴿ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾[5] وأشار تعالى إلى ما يترتب عليه فقال ﴿ ومن يُسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾[6] وقال : ﴿ من جاء بالحسنة فله خيرٌ منها وهم من فزع يومئذٍ آمنون ﴾[7].

وقد أطال القرآن الكريم في ذكر صفات المحسنين في كثيرٍ من الآيات من سور : المائدة ، والعنكبوت ، والزمر ، والداريات، لا يتسع المقام لذكرها جميعا ، وفصَّل القول في سورة الإسراء عن أحق الناس بالإحسان ، وجمع في قوله تعالى من سورة النساء : ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ﴾[8] جميع أنواع الإحسان، فيما لو عمل الناس بمقتضاها وتمسكوا بها لسعدوا وسادوا وساد الخير بينهم وفازوا بخيري الدنيا والآخرة .

---

(1) لسان العرب 451/2 .

(2) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 4695 بَاب فِي الْقَدَرِ، سنن أبي داود 222/4 وأخرجه الترمذي في سننه حديث رقم 2610 بَاب ما جاء في وَصْفِ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ الْإِيمَانَ وَالْإِسْلَامَ ، سنن الترمذي 6/5 .

(3) القصص آية :77.

(4) النحل آية : 90.

(5) النساء آية : 124.

(6) لقمان آية : 21.

(7) النمل آية : 91 .

(8) النساء آية :36.

ثالثاً : التقوى :

فضيلة يراد بها أن يتقي الإنسان ما يغضب ربه وما فيه ضرر لنفسه أو إضرار لغيره وتشمل الخوف من الله تعالى والعمل بأحكامه والوقوف عند حدوده ، وقد أكثر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز من الأمر بها وتوجيه النفوس إليها بأساليب مختلفة وصور متعددة تارة بصريح الأمر بها وتارة بذكر صفات المتقين وتارة أخرى بذكر ثمراتها من ذلك قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾[1]، وقوله تعالى : ﴿ ليس البرُّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾[2]، وقال جل شأنه : ﴿ ألاَ إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾[3] وقال عز وجل ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾[4].وقال رسول الله ﷺ : " اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلقٍ حسن "[5] ، وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام كما في الصحيح " اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى "[6].

وليس أدل على أهمية التقوى ومنزلتها في الإسلام من قوله تعالى : ﴿ وتزوَّدوا فإن خير الزاد التقوى واتَّقُون يا أولي الألباب ﴾[7].

---

(1) آل عمران آية : 102.

(2) البقرة آية : 176.

(3) يونس آية : 63-64.

(4) الطلاق آية : 2.

(5) أخرجه : الترمذي في سننه حديث رقم 1987 بَاب ما جاء في مُعَاشَرَةِ الناس سنن الترمذي 355/4 ، والإمام أحمد في مسند أبي ذر حديث رقم 21391 مسند أحمد بن حنبل 5/ 152 ـ 153 ، والحاكم في المستدرك حديث رقم 178 المستدرك على الصحيحين 54/1 .

(6) أخرجه : مسلم في صحيحه حديث رقم 2721 بَاب التَّعَوُّذِ من شَرِّ ما عُمِلَ وَمِنْ شَرِّ ما لم يُعْمَلْ صحيح مسلم 4/ 2085.

(7) البقرة آية : 196.

رابعاً : الصبر :

خلقٌ حميدُ وصفة فاضلة لولاه لانهارت نفس الإنسان من البلايا والرزايا التي تنزل به في حياته ولعجز عن مسايرة ركب الحياة وتحمُّل آلامها ومحنها ، ويمكن القول بأنه الفاصل بين الحياتين : المادية والروحية، وقد اهتم القرآن الكريم بالدعوة إليه فمدح المتحلين به وأشاد بمنزلتهم وكرر الدعوة إليه بما لم يدع بمثله إلى فضيلة أخرى سواه ، وقد جاء ذكره في القرآن الكريم بما يقارب السبعين مرة مما يجعله بحقٍ أمًّا للفضائل كلها، فما من فضيلة إلا وهو مندرجٌ فيها وهي حائة عليه وقد امتدح الله الصابرين من الأنبياء والمؤمنين وأثنى عليهم وذكر أنهم مؤيدون بمعونة الله مخولون بإمامة الناس فقال تعالى : ﴿ واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾[1]، وقال جل ذكره حكاية عن بني إسرائيل : ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لّما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾[2] وبشر الله الصابرين في سورة البقرة بثلاث مزايا هي غفران الله ورحمته والهداية إلى الحق والصواب فقال عز وجل :﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾[3].

وجاء في صحيح مسلم من حديث أبي يحيي: صهيب بن سنان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له "[4] ، وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إِنَّ اللَّهَ قال : إذا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ " يُرِيدُ عَيْنَيْهِ[5].

(1) الأنفال آية :47.

(2) السجدة آية :24.

(3) البقرة آية : 154-156.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2999 بَاب الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ ، صحيح مسلم 2295/4 .

(5) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 5329 بَاب فَضْلِ من ذَهَبَ بَصَرُهُ ، صحيح البخاري 5/ 2140.

خامساً : العفو :

امتدح الله العفو في كثيرٍ من الآيات القرآنية ووصفه بأنه خُلُقٌ حميد من أخلاق المؤمنين ودعا تعالى إلى مقابلة شرور الناس بالإحسان إليهم بالعفو لأن ذلك أملك في نزع العداوة من قلوبهم وإدامة المودة بينهم فقال تعالى :﴿وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم ﴾[1] وقال جل ذكره : ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾[2] وقال عز وجل : ﴿وجزاءُ سيئة سيئةٌ مثلُها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ﴾[3].

وفي الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : " ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قطُ بيده ولا امرأةً ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيءٌ قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيئاً من محارم الله تعالى "[4] ، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب "[5].

سادساً : الصدق ومظاهره :

ليس هناك أنفع للفرد والمجتمع والأمة من خلق الصدق لذلك عده الإسلام من أمهات الفضائل التي دعا إليها ، وقد سئل رسولنا الكريم ﷺ : أيكون المؤمن جبانا؟ قال : "نعم . قيل له : أيكون المؤمن بخيلا ؟ قال : نعم. قيل له : أيكون المؤمن كذابا ؟

---

(1) التغابن آية : 14.

(2) فصلت آية : 33.

(3) الشورى آية : 37.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2328 بَاب مُبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلْآثَامِ وَاخْتِيَارِهِ من الْمُبَاحِ أَسْهَلَهُ وَانْتِقَامِهِ لِلَّهِ عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرُمَاتِهِ ، صحيح مسلم 1813/4 .

(5) متفق عليه : البخاري في صحيحه حديث رقم 5763 بَاب الْحَذَرِ من الْغَضَبِ، صحيح البخاري 2266/5، ومسلم في صحيحه حديث رقم 2609 بَاب فَضْلِ من يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَذْهَبُ الْغَضَبُ، صحيح مسلم 2014/4 .

قال لا ."[1] وورد عنه ﷺ أنه قال :" يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب "[2] لذلك لا يجتمع كذب وإيمان بحال.

وقد دعانا القرآن الكريم للتمسك بخلق الصدق في آياتٍ كثيرة نذكر منها قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ والصادقين والصادقات ﴾[5] وقوله عز وجل : ﴿ فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم ﴾[4].

مظاهر الصدق ومنزلته:

ذكر أهل العلم بأن للصدق صوراً من أعلاها وأرفعها الأمانة وصدق الوعد اللذين يعدان من أرفع الصفات في الإنسان ولا تقوم قائمة لأي مجتمعٍ بدون وجودهما ، لذلك امتدح الله تعالى من يتصف بهما فقال عز وجل ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾[6] وقال في شأن نبيه إسماعيل على نبينا وعليه الصلاة والسلام : ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيا ﴾[7].

ولا أدل على منزلة الصدق في الإسلام من اتصاف نبينا محمد ﷺ به حتى إنه كان يلقب في الجاهلية بالصادق الأمين وقد أمرنا ﷺ بالتمسك به وبين أنه سبيل الجنة فقال في الصحيح : " عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وما زال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا"[8].

---

(1) رواه الإمام مالك في الموطأ حديث رقم 1795 باب ما جاء في الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ، موطأ مالك 989/2 .

(2) رواه الإمام أحمد في مسند أبي أمامة حديث رقم 22224 مسند أحمد بن حنبل 252/5.

(3) التوبة آية : 120.

(4) الأحزاب آية : 35.

(5) محمد آية : 22.

(6) المؤمنون آية : 8.

(7) مريم آية : 53.

(8) متفق عليه : البخاري في صحيحه حديث رقم 5743 بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مع الصَّادِقِينَ) وما يُنْهَى عن الْكَذِبِ، صحيح البخاري 2261/5، ومسلم في صحيحه حديث رقم 2607 بَاب قُبْحِ الْكَذِبِ وَحُسْنِ الصِّدْقِ وَفَضْلِهِ، صحيح مسلم 2012/4.

سابعا : الإصلاح بين الناس :

من أهداف الإسلام الدعوة إلى صلاح المجتمع ولا يصلح المجتمع إلا إذا صلح أفراده ولا يكون المسلم صالحاً إلا إذا اجتنب الإضرار بالناس وسعى في مصالحهم لذلك اعتبر الإسلام الإصلاح بين الناس من الأخلاق الفاضلة التي يجب أن يتحلى بها المسلم وقد حث عليه ديننا الحنيف في كتاب الله العزيز وفي سنة نبيه محمد ﷺ القولية والفعلية فقال تعالى في بيان ثواب الإصلاح بين الناس : ﴿ لا خير في كثيرٍ من نجواهم إلا من أمر بصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما ﴾[1] ودعا إلى الإصلاح بين المؤمنين فقال : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾[2] وقال جل ذكره : ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾[3] وقال عز وجل : ﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ﴾[4] . وحث عليه رسولنا الكريم ﷺ فقد جاء في الصحيح عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها أنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيرا" [5] ، وقد ورد أن النبي ﷺ انشغل عن الصلاة المكتوبة بسبب الإصلاح بين بني عمرو بن عوف في الحديث المتفق على صحته[6] الذي رواه أبو العباس سهل بن سعد الساعدي، في إشارة منه ﷺ إلى أهمية الإصلاح بين الناس ومنزلته في الإسلام .

---

(1) النساء آية : 113.

(2) الحجرات آية : 9.

(3) الحجرات آية : 10 .

(4) الأنفال آية : 1 .

(5) متفق عليه : البخاري في صحيحه حديث رقم 2546 بَاب ليس الْكَاذِبُ الذي يُصْلِحُ بين الناس، صحيح البخاري 958/2 ، ومسلم في صحيحه حديث رقم 2605 بَاب تَحْرِيمِ الْكَذِبِ وَبَيَانِ الْمُبَاحِ منه، بزيادة " ولم أسمعه يُرخص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث . تعني الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها " صحيح مسلم 4،2011 .

(6) البخاري في صحيحه حديث رقم 652 بَاب من دخل لِيَؤُمَّ الناس فَجَاءَ الْإِمَامُ الْأَوَّلُ فَتَأَخَّرَ الآخر أو لم يَتَأَخَّرْ جَازَتْ صَلَاتُهُ صحيح البخاري 242/1، ومسلم في صحيحه حديث رقم 421 بَاب تَقْدِيمِ الْجَمَاعَةِ من يُصَلِّي بِهِمْ إذا تَأَخَّرَ الْإِمَامُ ولم يَخَافُوا مَفْسَدَةً بِالتَّقْدِيمِ صحيح مسلم 316/1 .

ثامناً : التعاون :

التعاون مبدأ من مبادئ الإسلام الخالدة وخُلُقٌ كريم من أخلاقه الفاضلة لذلك فقد خصه القرآن الكريم بعناية خاصة في آية كريمة اشتملت على أسمى المعاني الروحية هي قوله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾[1]، فقد جاء الأمر فيها بالتعاون على البر الذي هو اسم جامع لكل معاني الخير ليدل دلالة قاطعة على بلاغة القرآن الكريم وإعجازه ، والمتأمل لهذه الآية الكريمة يجد أنها لم تكتف بالدعوة إلى التعاون على البر والتقوى فقط بل إنها قد حذرت من التعاون على معصية الله والإضرار بالغير لتبين لنا أهمية التعاون وضرورته للمسلم في حياته ومن بليغ اهتمام القرآن الكريم بهذا الخلق فقد خص سورة كاملة للدعوة إليه هي سورة العصر التي يقول الإمام الشافعي عنها : " إن الناس أو أكثرهم في غفلة عن تدبر هذه السورة " منبهاً بذلك إلى عظم ما دعت إليه .

جاء في الصحيح من حديث أبي عبد الرحمن : زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : "من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا "[2].

لأجل ذلك كله اعتبر التعاون عاملاً من عوامل النهوض بالحياة الاجتماعية إلى أسمى مكانة وأرفع منزلة وعنصراً هاماً من العناصر الكفيلة بتحقيق السعادة للمسلمين.

تاسعاً : الإيثار :

الإيثار خُلقٌ من أخلاق الإسلام الفاضلة دعا إليه ورغب فيه لأنه يسمو بالمؤمن عن الأثرة وحب الذات التي تجعل صاحبها منبوذاً بين الناس ، ولأن الإيثار يدعو إلى تفضيل الغير على النفس لما له من أثر كبير في توثيق المحبة بين أفراد المجتمع وزرع عاطفة الرحمة

(1) المائدة آية : 3.

(2) متفق عليه : البخاري في صحيحه حديث رقم 2688 بَاب فَضْلِ من جَهَّزَ غَازِيًا أو خَلَفَهُ بِخَيْرٍ صحيح البخاري 1045/3 ومسلم في صحيحه حديث رقم 1895 بَاب فَضْلِ إِعَانَةِ الْغَازِي في سَبِيلِ اللَّهِ بِمَرْكُوبٍ وَغَيْرِهِ وَخِلَافَتِهِ في أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، صحيح مسلم 1506/3.

والتعاون فيما بينهم لهذا دعا الله تعالى إليه فقال مادحاً لمن تخلق به : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾[1].

جاء في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " من كان معه فضل ظهر[2] فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له"[3] يقول الراوي : فذكر من أصناف المال حتى رأينا أنه لا حق لأحدٍ منا في فضل . وفي الحديث المتفق على صحته عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " إن الأشعريين إذا أرملوا [4] في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناءٍ واحدٍ بالسوية فهم مني وأنا منهم "[5].

فالإيثار بحق يثبت أن سعادة المسلم لا تتحقق بغير التضحية في سبيل الغير.

عاشراً : الكلام الحسن :

اهتم الإسلام في تربية أبنائه على الأخلاق الفاضلة بأسلوب التخاطب فيما بينهم ودعاهم إلى حسن المخاطبة باختيار اللهجة اللينة والكلام الحسن لأن ذلك من شأنه أن يجعل الإنسان محبوباً بين أبناء جنسه ويكسبه أصدقاء كُثر يعينونه على تحمل مشاق الحياة وآلامها، فحث القرآن الكريم على ذلك في قوله تعالى : ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم ﴾[6]، وأمر بذلك في قوله تعالى ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾[7]، ودعا إلى البشاشة ونفر من الغلظة مع الناس في الدعوة فقال مخاطباً

---

(1) الحشر آية : 9 .

(2) أي مركوب زائد عن حاجته.

(3) مسلم في صحيحه حديث رقم 1728بَاب اسْتِحْبَابِ الْمُؤَاسَاةِ بِفُضُولِ الْمَالِ صحيح مسلم 1354/3.

(4) فرغ زادهم أو قارب الفراغ .

(5) البخاري في صحيحه حديث رقم 2354 بَاب الشَّرِكَةِ فِي الطَّعَامِ وَالنَّهْدِ وَالْعُرُوضِ صحيح البخاري 879/2 ومسلم في صحيحه حديث رقم 2500 بَاب من فَضَائِلِ الْأَشْعَرِيِّينَ رضي الله عَنْهُمْ صحيح مسلم 1944/4.

(6) الإسراء آية :53.

(7) البقرة آية : 82 .

لصفوة رسل الله إلى خلقه سيدنا محمد ﷺ في شخصه وللأمة من خلاله : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك ﴾[1].

وجاءت السنة المطهرة مؤكدة على ذلك ففي الصحيح من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:" اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة"[2] ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال "والكلمة الطيبة صدقة "[3] ، ومن حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ :" لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق[4] "[5].

ذاك هو الأدب الشرعي في التخاطب والمعاملة ولا سبيل للسعادة في هذه الحياة بدونه .

حادي عشر : معاشرة الأخيار :

الإنسان اجتماعي بطبعه ولا غنى له بحال من الأحوال عن مخالطة الناس ومعاملتهم ومصاحبتهم لذلك دعانا ديننا الحنيف إلى مصاحبة الأخيار وحسن اختيارهم لأن ذلك من شأنه أن يغرس في نفوسنا الأخلاق الكريمة والآداب الفاضلة ونهانا عن مصاحبة الأشرار لأن صحبتهم تقود إلى الرذائل والمنكرات وتعين على اقتراف الآثام والمحرمات ، فجاءت آيات القرآن الكريم صريحة في ذلك قال تعالى : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشي يريدون وجهه ولا تعدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾[6] وقال جل

---

(1) آل عمران آية : 159.

(2) متفق عليه : : البخاري في صحيحه حديث رقم 5677 بَاب طِيبِ الْكَلَامِ، صحيح البخاري 2241/5 ومسلم في صحيحه حديث رقم 1016 بَاب الْحَثِّ على الصَّدَقَةِ، صحيح مسلم 703/2.

(3) متفق عليه : البخاري في صحيحه حديث رقم 2827 بَاب من أَخَذَ بِالرِّكَابِ وَنَحْوِهِ، صحيح البخاري 1090/3 ومسلم في صحيحه حديث رقم 1009بَاب بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ على كل نَوْعٍ من الْمَعْرُوفِ صحيح مسلم 697/2.

(4) متهلل بالبشر والابتسام .

(5) مسلم في صحيحه حديث رقم 2626 بَاب استحباب طَلَاقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، صحيح مسلم 2026/4.

(6) الكهف آية : 28.

وعلا :﴿ فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلاّ الحياة الدنيا ﴾[1] وحرم الله تعالى على المؤمن أن يتودد إلى أرباب المعاصي ولو كانوا من أقرب الناس إليه فقال عز وجل : ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾[2].

ثم جاءت السنة المطهرة لتصور لنا صحبة الأخيار وصحبة الأشرار في أبلغ صورة عملية وتبين لنا فوائدها وأضرارها فقد صح عنه ﷺ أنه قال : " إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير[3] فحامل المسك إمّا أن يحذيك[4] وإمّا أن تبتاع منه وإمّا أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إمّا أن يحرق ثوبك وإمّا أن تجد منه ريحاً مُنتِنَةً "[5].

ثاني عشر : الاستئذان والتحية :

الإسلام يسمو بأتباعه أعلى درجات الأدب والأخلاق فهو لم يترك كبيرة ولا صغيرة من شأنها أن ترقى بالأمة أو تهذب من أخلاقها إلا دعا إليها وأمر بها وحض عليها فها هو قد سن لأهله آداب الاستئذان والتحية اللَّذان يعدان من أخص صفات الأمم المتمدنة في العصر الحديث منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرناً من الزمان في ضرب من ضروب الإعجاز القرآني البليغ فقال تعالى آمراً بذلك : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا[6] وتسلموا على أهلها ذلكم خيرٌ لكم لعلكم تذكّرون . فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعلمون عليم ﴾[7]، ولم يكتف الإسلام بتشريع التحية فقط بل وأمر

---

(1) النجم آية : 28 .

(2) المجادلة آية : 22.

(3) منفخ الحداد الذي يشعل النار وينفث الدخان .

(4) يعطيك .

(5) متفق عليه : البخاري في صحيحه حديث رقم 5214 باب المسك صحيح البخاري 2104/5 ومسلم في صحيحه حديث رقم 2628 بَاب استحباب مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ وَمُجَانَبَةِ قُرَنَاءِ السُّوءِ صحيح مسلم 2026/4.

(6) المراد بالاستئناس تحري راحة المزور في الزيارة واختيار الوقت المناسب لها.

(7) النور آية : 27-، 28.

بردها في أرقى درجات الكمال الأدبي فقال تعالى : ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيبا ﴾[1].

ورسولنا الكريم ﷺ قد بين لنا فضله كما جاء في الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : " أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : أي الإسلام خير؟ فقال : تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف "[2]، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ :" لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أوَلا أدُلُّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم "[3].

تلك هي مبادئ الإسلام في فضائل الأخلاق التي لو تمسك بها الناس لأدركوا سعادة الدنيا ونعيم الآخرة .

القسم الثاني : رذائل الأخلاق التي نهى الإسلام عنها

أولاً : الانقياد لهوى النفس :

ليس أضر على الإنسان في الدنيا والآخرة من اتباعه لهوى نفسه واستسلامه لرغباتها وشهواتها لأن ذلك يؤدي به إلى فقدان التوازن الطبيعي لميول النفس البشرية التي ركبها الله فيه القائم على الاعتدال والتوازن بين متطلبات الجسد والروح ، بحيث لو انفرد واحدٌ من هذه الميول بالزعامة لسخَّر جميع النزعات الأخرى إليه فيؤدّي به إلى ظلم نفسه وغيره من أجل تحقيق ذلك، لذلك وصف الله تعالى الهوى بأنه مفسد للنظام الطبيعي

---

(1) النساء آية : 85.

(2) متفق عليه : البخاري في صحيحه حديث رقم 12 بَاب إِطْعَامُ الطَّعَامِ من الْإِسْلَامِ، صحيح البخاري 13/1 ومسلم في صحيحه حديث رقم 39 بَاب بَيَانِ تَفَاضُلِ الْإِسْلَامِ وَأَيُّ أُمُورِهِ أَفْضَلُ، صحيح مسلم 65/1 .

(3) مسلم في صحيحه حديث رقم 54 بَاب بَيَانِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إلا الْمُؤْمِنُونَ وَأَنَّ مَحَبَّةَ الْمُؤْمِنِينَ من الْإِيمَانِ وَأَنَّ إِفْشَاءَ السَّلَامِ سبب لِحُصُولِهَا، صحيح مسلم 74/1 .

للحياة بقوله : ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن ﴾[1]، ومن أعظم أضرار الهوى الوقوع في الظلم من قبل الحكام الذين اختصهم الله تعالى بإقامة العدل في الأرض فقال تعالى محذراً من ذلك في خطابه لنبيه داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام : ﴿ يا دواد إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾[2]، وقد وصف الله تعالى اتباع الهوى بالضلال المبين وبأنه سبيل الظالمين فقال عز وجل : ﴿ ومن أضلُ ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾[3]، وأشار القرآن الكريم إلى أن من أسباب اتباع الهوى ضعف النفس والجهل فقال تعالى : ﴿ وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم إنَّ ربَّك هو أعلم بالمعتدين ﴾[4]، كما جعل الجنة جزاءً لمن خالف أمر هواه وأطاع مولاه فقال عز وجل : ﴿ وأمَّا من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى. فإن الجنة هي المأوى ﴾[5] .

فإذا راقب الإنسان ربه وجاهد نفسه وهواه فاز برضا مولاه وسار على طريقه الذي يرضاه.

ثانياً : الكبرياء :

من أشد الرذائل الاجتماعية سوءًا على الإطلاق لما لها من أثر كبير في زرع الشقاق والعداوة بين الناس إضافةً إلى أنها تقضي على المحبة والتعاون والألفة بينهم وتقطع كل سبيلٍ للإصلاح فيما بينهم لأن المتصف بهذه الرذيلة لا يرى إلا نفسه ولا يقيم اعتباراً لغيره فيتعامى عن كل نقصٍ فيه ولا يسمع إلا لكل مادحٍ متملق ويترفع عن كل ناصح مشفق فيتنكب سبيل الجهل والضلال.

---

(1) المؤمنون آية : 72.

(2) ص آية : 25.

(3) القصص آية :50.

(4) الأنعام آية :120.

(5) النازعات آية : 39-40.

من أجل ذلك حذر القرآن الكريم المؤمنين من هذه الرذيلة وبين أن سنة الله في خلقه اقتضت صرف المتكبرين عن الهداية لأنهم أضل الناس وأعصاهم وأبعدهم عن الاستجابة لدعوة الحق والرشاد مبيناً أن جزاءهم العذاب الأليم في الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴾[1]، وقال عز وجل :﴿ أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ﴾[2]، والإنسان لو أمعن النظر في نفسه وتدبر في ملكوت الله وآياته في خلقه لنبذ الكبر والمتكبرين، لذلك فقد جاءت نصوص القرآن والسنة مشددة في الدعوة إلى التواضع والنهي عن الاختيال والتكبر مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ ولا تمشِ في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ﴾[3] وقوله عز وجل ﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمشِ في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾[4].

وفي الصحيح من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف ، لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عُتلٍ[5] جوَّاظٍ[6] مستكبر "[7] وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبر . فقال رجل : إنَّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة ، فقال رسول الله ﷺ : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر : بطر الحق[8] وغمط الناس[9] ".

---

(1) الأعراف آية : 146.

(2) الزمر آية : 57.

(3) الإسراء آية : 37.

(4) لقمان آية : 17.

(5) الغليظ الجافي .

(6) الجوَّاظ بفتح الجيم وتشديد الواو : الجموع المنوع وقيل الضخم في مشيته .

(7) متفق عليه : البخاري في صحيحه حديث رقم 4634 بَاب ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ صحيح البخاري 1870/4 ومسلم في صحيحه حديث رقم 2853 بَاب النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ ، صحيح مسلم 2186/4.

(8) بطر الحق : دفعه ورده .

(9) غمط الناس : احتقارهم .

فما أحرانا بعد هذا كله بمحاربة هذه الرذيلة حتى نحفظ لمجتمعنا المسلم هيبته ومودته.

ثالثاً : الخمر والقمار :

اهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بحفظ العقل والمال فدعا في كثيرٍ من آيات القرآن الكريم إلى حفظهما وعد ذلك من مقاصد الشريعة وكلياتها فنهى عن كل ما من شأنه أن يغيِّب العقل أو يضيع المال وفي مقدمة ذلك شرب الخمر ولعب القمار " الميسر " اللذان يعدان من أشر المفاسد الدنيوية فقد قرن القرآن الكريم تحريمهما بتحريم الأوثان فقال عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنّما الخمر والميسر والأنصاب[1] والأزلام[2] رجس[3] من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. إنّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة و البغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ [4] فالذي يمعن النظر في هاتين الآيتين الكريمتين يجد أن الله تعالى رتب على اجتناب الخمر والميسر الفلاح في الدنيا والآخرة ليدل بمفهوم المخالفة على أن تعاطيهما سبباً للخسران في الدنيا والآخرة كما أنه تعالى قرن في الآية الأولى بين الخمر والميسر والأنصاب والأزلام ليدل على تحريمهما القاطع كتحريم الأوثان ثم أمر تعالى باجتنابهما كاجتنابها، ومعلومٌ شرعاً أن الإسلام لم يحرم شيئاً آكد من تحريم الأوثان وقد بين تعالى في هاتين الآيتين الكريمتين حيثيات التحريم وأسبابه وعلله التي من بينها الصد عن ذكر الله وعن الصلاة وأشار إلى مضار الخمر والميسر الحسية والمعنوية التي من أشدها إضعاف صوت الضمير بشرب الخمر عندما يتغيب العقل فيؤدي بصاحبه إلى ذهاب حيائه ويجعله يتصرف كتصرف البهائم فتذهب أخلاقه ويتردى في مهاوي الرذائل والانحطاط ، أما الأضرار الصحية المترتبة عن شرب الخمر فمن أشدها كما ثبت حديثاً عند علماء الطب أن جميع أجهزة الإنسان : النفسية والهضمية وأجهزة الإحساس تتضرر بذلك كما أن تعاطي الخمر يحدث

---

(1) حجارة أو أصنام كان العرب يعبدونها ويذبحون قرابينهم عندها .

(2) قطع الخشب الرقيقة التي كان العرب في الجاهلية يستقسمون بها للتفاؤل والتشاؤم .

(3) الرجس يدل على منتهى القبح والخبث .

(4) المائدة آية : 92-93.

ضرراً واضحاً في نسل الإنسان وذريته ، أما مضار القمار فمن أشدها الضرر المالي الذي يلحق بالمقامر وما ينشأ عنه من شقاق بين أفراد الأمة، فاغتصاب المقامر لمال أخيه ينتج عنه بغضه وحنقه عليه وربما انتهى ذلك إلى الشجار بينهما وإضمار الشر واستدامة العداوة بينهم ومن مضار القمار أيضاً الصد عن ذكر الله وعن الصلاة لأن المقامر يتوجه بجميع قواه العقلية للعب رجاء الربح وخشية الخسارة فيستغرق منه ذلك زمناً طويلا ينسيه ربه ويشغله عن عبادته ، من أجل ذلك حرم الإسلام الخمر والقمار ليحفظ على المسلم عقله وماله حتى لا ينشغل عن عبادة ربه وطاعة خالقه .

ورسولنا ﷺ حذرنا من شرب الخمر وبين لنا أنها أم الخبائث وتوعد شاربها في الدنيا بأن يسقيه الله تعالى من طينة الخبال يوم القيامة وهي عصارة أهل النار من قيح وصديد ودم وأمرنا ﷺ بحفظ المال وحذرنا من إضاعته وبين لنا أن الله تعالى نهانا عن إضاعة المال وكثرة السؤال وأن الله تعالى سائل عبده يوم القيامة عن ماله من أين جمعه وفيما أنفقه فقال عليه الصلاة والسلام : "من شرب الخمر في الدنيا سقاه الله من حميم جهنم معذباً"[1] وقال عليه الصلاة والسلام : "لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن شبابه فيما أبلاه وعن عمره فيما أفناه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ؟ "[2] .

من كل ذلك يتبين لنا يقيناً أن الإسلام دينٌ روحي يحرم كل ما يضر بالإنسان ويلهيه عن طاعة ربه وعبادته.

رابعاً : الكذب ومظاهره :

الكذب خلق ذميم لا يتصف به مسلم بحال حذر منه الإسلام وبين أنه أصل الرذائل ومبعث الشرور لما يترتب عليه من تصدع للمجتمع واختلال للأمور لأنه إخبار بغير حق وإنباءٌ بغير موجود تضافرت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة على التنفير منه وبيان شروره وآثامه فقد كتب الله على الكذابين الضلالة في الدنيا والآخرة

(1) أخرجه الطبراني في معجمه حديث رقم 7852 ، المعجم الكبير 211/8 .

(2) أخرجه الهيثمي في باب ما جاء في الحساب، مجمع الزوائد 346/10 والمنذري في الترغيب والترهيب حديث رقم 5443 فصل في ذكر الحساب وغيره ، الترغيب والترهيب 213/4 .

فقال تعالى : ﴿ إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ﴾[1] وقال عز وجل : ﴿ إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾[2] وتوعد الله الكذابين بالخسران في الدنيا والعذاب في الآخرة فقال : ﴿ إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون. متاع قليل ولهم عذاب أليم ﴾[3]، وقد بينت لنا السنة المطهرة صوره ومظاهره التي من أشدها وأشنعها : الخيانة[4] وخُلف الوعد[5] وشهادة الزور والبهتان[6] والنميمة[7]، فالله تعالى يقول في تحريم الخيانة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾[8] والرسول ﷺ يصف مُخلف الوعد بالمنافق فيقول في الصحيح :" آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان"[9] وقد قرن تعالى بين الأمر باجتناب عبادة الأصنام واجتناب شهادة الزور فقال : ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ﴾[10] وفي المقابل وصف عباده المقربين بقوله : ﴿ والذين لا يشهدون الزور ﴾[11] وحذر من البهتان الذي يقصد به النيل من شرف الإنسان وعمله فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا

---

(1) غافر آية : 28.

(2) الزمر آية : 4.

(3) النحل آية : 116-117.

(4) الخيانة : معناها خون النصح والود ، والخون أن يؤتمن الإنسان فلا ينصح ، ابن منظور ، "لسان العرب" ، مادة (خون) ،ج257/3.

(5) خُلف الوعد : نقيض الوفاء به،بأن يقول شيء ولا يفعله على جهة الاستقبال، ابن منظور ، "لسان العرب" ، مادة (خلف) ،ج193/3.

(6) البهتان : الافتراء والمقابلة بالكذب والباطل الذي يُتحيرُ من بطلانه ، ابن منظور ، "لسان العرب" ، مادة (بهت) ،ج256/1، 255.

(7) النميمة : نقل الحديث من قوم إلى قوم على وجه الإشاعة والإفساد والشر وقيل تزيين الكلام بالكذب، ابن منظور ، "لسان العرب" ، مادة (نمم) ،ج709/8.

(8) الأنفال آية : 27.

(9) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 33 بَاب عَلَامَةِ الْمُنَافِقِ، صحيح البخاري 21/1وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 58 بَاب بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ، صحيح مسلم 78/1.

(10) الحج آية : 28 .

(11) الفرقان آية : 72.

على ما فعلتم نادمين ﴾[1] ونهانا عز وجل عن النميمة التي لا يتصف بها إلا ذوو النفوس المريضة الذين لا همَّ لهم إلا إشاعة العداوة والخصام بين الناس وحذرنا من الاستماع إليهم وتصديقهم فقال : ﴿ ولا تطع كل حلاّف مهين. هماز[2] مشّاءٍ بنميم ﴾[3].

خامساً : احتِقار الغير :

كرم الله الإنسان وأعلى مكانه وخلقه في أحسن تقويم وسخَّر له ما في الأرض جميعاً لكونه خليفته في أرضه والحامل لأمانته فيها لذلك جاءت شريعته مؤكدة على ذلك حاثة المسلم على وجوب احترامه لغيره من بني جنسه محرمة لاحتقاره له بأي صورة من صور الاحتقار ومظاهره التي من أشدها الاستهزاء والسخرية والتنابز بالألقاب والطعن في الشخصية بذكر المعايب والتحقير بالقول أو بالإشارة سواء كان ذلك لداعي الفقر أو الإعاقة أو لأي سبب كان لأن ذلك يعتبر ظلماً وتعدياً على من وقَّره الله تعالى وأعلى مكانته فضلاً عن كونه عاملاً من عوامل تفريق وحدة المسلمين ومضعفاً لجماعتهم ، يقول تعالى محذراً من ذلك في آية كريمة جامعة من سورة الحجرات : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قومٍ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾[4] فاللمز والتنابز بالألقاب موجبان للسخرية التي تورث البغضاء في القلوب وتقطع روابط الرحمة والمودة وتدفع بالمستهزأ به إلى التماس المعايب لأخيه للرد عليه فإذا لم يجد له عيباً يرمِهِ به افترى عليه ما شاء وأشاع ذلك بين الناس ، فتضعف وحدتهم وتذهب ريحهم ويسود الشقاق بينهم الموجب للفسوق المفضي إلى سخط الله تعالى.

(1) الحجرات آية : 6.

(2) الهَمَّاز : العياب في الغيب ، ابن منظور ، "لسان العرب" ، مادة (همز) ،ج134/9.

(3) القلم : آية 10-11.

(4) الحجرات آية : 11.

جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول رسول الله ﷺ : " بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم "[1] ، ومن حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله عز وجل : من ذا الذي يتألى[2] عليَّ أن لا أغفر لفلان ، إني قد غفرت له وأحبطت عملك "[3].

سادساً : الظن السيئ والتجسس والغيبة :

حرم الله تعالى على المسلمين في كتابه العزيز سوء الظن والتجسس والغيبة في آية جامعة من سورة الحجرات فقال عز وجل : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾[4]، فالمتمعن في هذه الآية الكريمة يجد أن الله تعالى أمر فيها باجتناب كثيرٍ من الظن ولم يأمر باجتنابه مطلقاً ليخرج بذلك عدم حرمة إساءة الظن بمن يتعاطون الخبائث والمنكرات ، وأن الحرمة قاصرة على من عرفوا بالصلاح والأمانة من المسلمين لأن سوء الظن بالمؤمنين مدعاة لتحقيرهم وإيقاع الضرر بهم وهذا محرمٌ مطلقاً ، كما أن الله تعالى نهى فيها عن التجسس على المؤمنين وتتبع عوراتهم لأنه يورث العداوة والبغضاء والضغينة بينهم ، إلا أن النهي لا يشمل تتبع خطوات المفسدين الداعين إلى الفتنة لأن قمع الفتنة واجبٌ شرعاً باعتبارها أشد من القتل ، ثم نهى الله تعالى بعد ذلك المسلمين عن الغيبة ونفَّر منها وشبَّه المغتاب بأقبح صورة وأبشعها ، فكأنه يأكل لحم أخيه ميتاً ليدل على عظيم حرمتها وشناعة جرمها، مختتماً الآية الكريمة بالأمر بتقوى الله ومخافته مذكراً عباده بأنه التواب الرحيم الذي يقبل توبتهم ويعفو عن سيئاتهم، فاتحاً لهم باب الأمل واعداً لكل من يمتنع عن هذه الصفات الذميمة بالتوبة والمغفرة.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2564 بَاب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ ،صحيح مسلم ج 4 / 1986.

(2) يحلف على الله عز وجل .

(3) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2621 ،بَاب النَّهْيِ عن تَقْنِيطِ الْإِنْسَانِ من رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، صحيح مسلم ج 4 / 2023..

(4) الحجرات آية : 12.

وقد أكدت السنة المطهرة حرمة تلك الصفات وحذرت من اقترافها وبينت الجزاء الذي ينتظر من يتصف بها في كثيرٍ من الأحاديث التي لا يتسع المقام لذكرها جميعاً نذكر منها إجمالاً قوله عليه الصلاة والسلام في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : "إياكم والظَّن فإن الظَّن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم "[1] ، وقوله ﷺ : " كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله "[2]، وقوله ﷺ من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه : " يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته "[3]، كما حث علماء السلف على حفظ اللسان وصون المنطق حرصاً منهم على السلامة من آفاته ، يقول الإمام النووي رحمه الله مرغباً في ذلك :" ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة ، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة ، فالسنة الإمساك عنه ، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه وذلك كثيرٌ في العادة والسلامة لا يعدلها شيء "[4] .

سابعاً : الزِّنا :

الزِّنا لغةً : البغاء ، يقال زَنَى الرجُل يَزني زِنًى مقصور، وزِناءً ممدود ، وكذلك المرأة [5].

---

(1) متفق عليه : أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 5717 بَاب ما يُنْهَى عن التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ وَقَوْلِهِ تَعَالَى (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) صحيح البخاري ج 5 /2253، وأخرجه مسلم في صحيحه بَاب تَحْرِيمِ الظَّنِّ وَالتَّجَسُّسِ وَالتَّنَافُسِ وَالتَّنَاجُشِ وَنَحْوِهَا حديث رقم 2563، صحيح مسلم ج 4 / 1985

(2) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2564 بَاب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ ،صحيح مسلم ج 4 / 1986.

(3) أخرجه أبو داود في سننه حديث رقم 4880 باب في الغيبة ،سنن أبي داود 4 / 270، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم 3778 ج 4 /125 والهيثمي في مجمع الزوائد 1494/3.

(4) النووي ، رياض الصالحين /445.

(5) ابن منظور ، "لسان العرب" ، " مادة زنى" ، ج418/4.

واصطلاحاً : يراد به وطء الرجُلِ المرأةَ في القُبُلِ في غير الملك وشبهته[1]، وعند علمائنا : وطء مكلّف مسلم فرجَ آدمي في القُبلِ أو الدبر، لا ملك له فيه باتفاق الأئمة، وبلا شبهةٍ تعمداً، وإن كان الوطء لواطاً [2] .

وهو فاحشة عظيمة وكبيرة عظمى لقوله تعالى : ﴿ ولا تقربوا الزّنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا ﴾[3] حرمه سبحانه وتعالى وقرن إثمه بإثم الشرك به وقتل النفس بغير الحق فقال عز وجل في وصف عباده المؤمنين : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر، ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلقى آثاماً ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا، إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيم ﴾[4]، وقد عدّه الإسلام من أشد الرذائل الخُلُقية لجملة من الأسباب من أهمها : أنه يحرم صاحبه من طمأنينة النفس الطاهرة ويدخل القلق إلى نفسه ويولد فيها الشعور بالإثم ويحرمها من العفة التي تجلب السلامة كما أنه يطفئ نور الإنسان ويذهب بخلقه الكريم إضافة إلى أنه سبب في اختلاط الأنساب وتدمير المجتمع الإنساني من الداخل بضربه لأهم مكون فيه وهو الأسرة وقاضياً على كلية من الكليات التي نادت الشريعة الإسلامية بحفظها ألا وهي حفظ النسل ، لأن الزاني يخالف ناموس الله الطبيعي في خلقه بتركه للزواج الطبيعي [الرابطة الإنسانية التي تصل ما بين الجنسين بالود والرحمة والتضحية ويخلف أولاداً صالحين غيورين على الخير في مجتمعهم] فيسعى الزاني إلى الاستمتاع على حساب الغير خوفاً من التضحية والإخلاص للزوجة والأولاد فيخلف لقطاء يكونون عالة على المجتمع يحملون شعوراً لا يمحى من الألم ونظرة حنق على الحياة طيلة عمرهم.

لأجل ذلك كله سما الإسلام بأتباعه وحرم عليهم هذه الفاحشة المنكرة وشرع العقوبة الرادعة التي تزجر النفوس المريضة عن اقترافها حمايةً لأعراضهم وصونا لمجتمعاتهم.

---

(1) الدر المختار ورد المحتار : 154/3 ، وفتح القدير 183/4.

(2) الشرح الكبير 313/4 وما بعدها ، والشرح الصغير 447/4 وما بعدها.

(3) الإسراء آية : 32.

(4) الفرقان آية : 68-70.

والسنة المطهرة تكفلت بالتنفير منه ووعيد فاعله لا سيما بحليلة الجار والغائب عنها زوجها فقد روى الشيخان وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن[1] ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن "[2] وروى الإمام أحمد بن حنبل عنه أيضا أن النبي ﷺ قال : " ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : الإمام الكذاب ، والشيخ الزاني ، والعائل المزهو[3] "[4]، وروى عنه أيضا أن رسول الله ﷺ سُئل عن أكثر ما يلج به الناس النار؟ فقال : " الأجوفان : الفم والفرج، وعن أكثر ما يلج به الناس الجنة؟ فقال: حسن الخلق "[5] ، وروى الإمام أحمد أيضا حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : ما تقولون في الزنا ؟ قالوا: حرمه الله ورسوله فهو حرام إلى يوم القيامة، قال: فقال رسول الله ﷺ :لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره "[6]، وحديث أبي قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " من قعد على فراش مغيبة قيض الله له يوم القيامة ثعبانا "[7] ، كما حثت السنة المطهرة على اجتناب كل ما من شأنه أن يؤدي إلى اقتراف هذه الفاحشة كتحريم النظر إلى الأجنبية والخلوة بها ونهي أقارب الزوج عن الدخول على زوجة أخيهم إذا لم تكن من أصولهم أو فروعهم، والأحاديث في هذا الباب كثيرة لا يتسع المقام لذكرها فلتراجع في مظانها .

ثامناً : الغضب :

من أشد الرذائل الخُلُقية التي ينبغي على المسلم أن يجتنبها وينزه نفسه عن الاتصاف بها لما لها من أثر سيئ على حياته إذا ما تحكمت فيه ، فالغضب يمزق روابط المودة بين

---

(1) إذا استحله مع علمه بتحريمه، وهو من باب التنفير والوعيد ، ومعناه نفي كمال الإيمان.

(2) متفق عليه : أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 6425 بَاب إِثْمِ الزُّنَاةِ صحيح البخاري 2497/6 ، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 57 بَاب بَيَانِ نُقْصَانِ الْإِيمَانِ بِالْمَعَاصِي وَنَفْيِهِ عن الْمُتَلَبِّسِ بِالْمَعْصِيَةِ على إِرَادَةِ نَفْيِ كَمَالِهِ ،صحيح مسلم 1 / 76.

(3) أي الفقير المتكبر.

(4) أخرجه الإمام أحمد في المسند : 433/2.

(5) أخرجه الإمام أحمد في المسند : 392/2.

(6) أخرجه الإمام أحمد في المسند : 6 / 8.

(7) أخرجه الإمام أحمد في المسند : 300/5.

المسلمين ، وشدته تؤدي إلى الطيش والحمق فيدفع بصاحبه إلى الشروع في الاعتداء على الغير ، كما أن الغضب يسلب صاحبه خلق الحلم الذي يعتبر دليل الفطنة ورجاحة العقل ، ومن سماحة الإسلام أنه لم يدع أتباعه إلى عدم الغضب فقط بل دعاهم إلى كظم الغيظ الذي هو أشد الغضب ، ومعنى كظمه : الإمساك على ما في النفس من الغضب حتى لا يظهر له أثر على الجوارح. ثم سما بهم بعد ذلك فدعاهم إلى العفو الذي يعتبر أرفع منزلة من منازل السمو الخلقي التي يمكن أن يسلكها الإنسان عند ثوران غضبه ، يقول تعالى مادحاً لعباده المتقين ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾[1]، ويقول متفضلاً عليهم : ﴿ ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء ﴾.

ورسولنا الكريم ﷺ أوصانا بعدم الغضب وحبب إلينا تركه ودعانا إلى مجاهدة النفس وامتلاكها عند الغضب فقال عليه الصلاة والسلام في الصحيح : " ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب "[2]، وفي الصحيح أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أوصني قال: لا تغضب ، وكررها مراراً فقال له النبي ﷺ " لا تغضب "[3] ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت:ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى "[4].

وقد أثبت الطب الحديث أن الانفعال الذي يثيره الغضب ضار بصحة الإنسان ، وأن كثيراً من الأمراض المزمنة كضغط الدم وتصلب الشرايين والجلطة الدماغية ترجع أسبابها في كثيرٍ من الحالات إلى الغضب وشدة الانفعال.

---

(1) آل عمران آية : 134.

(2) متفق عليه : أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 5763 بَاب الْحَذَرِ من الْغَضَبِ ، صحيح البخاري 2266/5 ، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2608 بَاب فَضْلِ من يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَذْهَبُ الْغَضَبُ ، صحيح مسلم 4 / 2014.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 20286 باب الغضب والغيظ وما جاء فيه 11 / 187.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2328 بَاب مُبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلْآثَامِ وَاخْتِيَارِهِ من الْمُبَاحِ أَسْهَلَهُ وَانْتِقَامِهِ لِلَّهِ عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرُمَاتِهِ ، صحيح مسلم 4 / 1813..

لأجل ذلك كله يجدر بنا أن نتحاشى هذه الرذيلة فإننا لن نصل إلى الرقي الأدبي أبداً إلا بعد أن نملك أنفسنا ونضبط نزواتنا.

تاسعاً : الحسد :

معنى الحسد لغةً وشرعاً : تمني زوال نعمة المحسود وتحولها إلى الحاسد أو سلبها من المحسود[1] ، وهو من أقبح الخصال التي تصيب الإنسان فتنكد له عيشه، لأن الحسود بتمنيه الشقاء والنحس لغيره يشقي نفسه بهذا الحسد فيستمد العذاب من الخير الذي أوتيه سواه ، لذلك فإن خلق الحاسد اللؤم ولذته في الوشاية بين الناس والوقيعة بينهم لأنه قد فقد الثقة بنفسه واستشعر عجزها عن تحقيق غاياتها في الحياة فانعكس ذلك سلباً بتمني ما فضل الله به غيره عليه ، وفي هذا مخالفة صريحة لأمر الله تعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾[2] ، فالواجب على المؤمنين أن يعتمدوا على جهودهم ومواهبهم لنيل ما يرغبون ، وقد أمرنا الله تعالى بالاستعاذة من الحاسد وشره فقال عز وجل : ﴿ ومن شر حاسدٍ إذا حسد ﴾[3].

والحاسد لا يضر إلا نفسه لذلك فهو مستحقٌ للرثاء والشفقة لما يلاقيه من ألم جراء ذلك ، فالواجب علينا أن نقابل حسد الحاسدين بعدم مؤاخذتهم والعفو عنهم امتثالاً لأمر الله تعالى في كتابه العزيز بقوله في سورة الأنفال : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4]، كما يجب علينا أن نتحصن بوسائل علاج الحسد التي من أهمها : القناعة، والرضا ،وعدم المقارنة بين حال الحاسد وحال من هو أسعد منه عملاً بقول رسول الله ﷺ :" إذا نظر أحدكم إلى من

(1) ابن منظور ، "لسان العرب" ، مادة حسد ، ج 438/2.

(2) النساء آية : 32.

(3) الفلق آية : 5.

(4) البقرة آية : 108.

فُضّل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممّن فُضّل عليه "[1]، حتى نقي أنفسنا من هذه الخصلة الذميمة ونحفظ علينا صالح أعمالنا ، نستجيب لتحذير رسولنا الكريم ﷺ من هذا الداء العضال بقوله : " إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال : العشب ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار "[2].

عاشراً : اللَّغوُ :

دعا القرآن الكريم إلى ترك اللَّغوِ[3] والثرثرة وفضول الكلام والباطل من القول والفعل وعدّ كل ذلك من قبيل اللَّغو الذي ينبغي الإعراض عنه، ليسمو بالمؤمنين إلى درجة لا تسامى في علاها فقال تعالى: ﴿ قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون ﴾[4]، كما اعتبر الاشتغال باللغو من فعل الجاهلين وامتدح التاركين لمخالطتهم ومصاحبتهم فقال عز وجل : ﴿ وإذا سمعوا اللَّغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ﴾[5]، وقال تعالى ﴿ وإذا مروا باللَّغو مروا كراما ﴾[6] .

وقد روى الإمام مالك في الموطأ نهي النبي ﷺ عن الكلام حال الخطبة واعتبار ذلك من اللغو بقوله : " إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت ومن لغا فلا جمعة له "[7] حرصاً منه ﷺ على سلامة العبادة وكمالها من كل نقص.

---

(1) متفق عليه : أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 6125 بَاب لِيَنْظُرْ إلى من هو أَسْفَلَ منه ولا يَنْظُرْ إلى من هو فَوْقَهُ، صحيح البخاري 5/ 2380، وأخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2963، كتاب الزهد والرقائق ، صحيح مسلم 4/ 2275.

(2) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير حديث رقم 876 ، التاريخ الكبير1/272 ، والسيوطي في الدر المنثور : 173/2، 419/6 ، وابن عبد البر في التمهيد : 12/6.

(3) اللغو : السقط وما لا يعتد به من الكلام مما لا تحصل منه فائدة ولا نفع ، انظر: ابن منظور ، " لسان العرب" ، مادة (لغا) ، ج 98/8 .

(4) المؤمنون آية : 1-3.

(5) القصص آية : 55.

(6) الفرقان آية : 72.

(7) أخرجه مالك في الموطأ حديث رقم 232 باب ما جاء في الإنْصَاتِ يوم الْجُمُعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ ، موطأ مالك 1/ 103.

واللَّغو المأمور بتركه يشمل كذلك اللهو الفاجر وكل ما يثير الشهوات ويحرك الغرائز التي تفسد الخلق الإنساني وتقضي عليه دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتَّخِذُها هُزُوًا أولئك لهم عذاب مهين ﴾[1] فقد فسَّر ابن عباس وابن مسعود وغيرهما لهو الحديث في الآية الكريمة بالغناء[2]، وذكر الإمام القرطبي بأن هذه الآية واحدة من ثلاث آيات استدل بها العلماء على كراهية الغناء واللهو الفاجر والمنع منه[3]، وقد ترجم الإمام البخاري في صحيحه في آخر كتاب الاستئذان باباً خاصاً بكل لهوٍ فاجر إذا شغل عن طاعة الله، وعد العلماء الاشتغال بالغناء على الدوام سفه ترد به الشهادة[4] .

لذلك فإن من أهم أسباب رقي الشعوب وتقدمها إعراضها عن اللغو واللهو وحرصها على الوقت والعمل والاستجابة لقول رسولنا الكريم ﷺ في الصحيح . "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ"[5]، ولن يصلح حال الأمة إلا إذا تركت اللغو وفضول الكلام واتجهت إلى ذكر الله ومراقبته في القول والعمل.

حادي عشر: الشراهة :

خلق الله الإنسان في أحسن تقويم واقتضت حكمته سبحانه وتعالى في خلقه له أن يركب فيه رغبات روحية ومادية في تناسب معجز وتناسق بديع ، وأمر الله تعالى المسلم بمراعاة هذا التوازن في حياته والحرص على أن لا تطغى فيها واحدة على أخرى فيختل توازنه ويميل إلى تغليب جانبٍ على آخر فيغلب الصفات الروحية على المادية كما فعلت النصارى أو المادية على الروحية كما فعلت اليهود ، فيضل عن سواء السبيل.

---

(1) لقمان آية: 5.

(2) انظر: القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن "،ج51/14.

(3) الآية الثانية قوله تعالى في الآية 60 من سورة النجم : { وأنتم سامدون} ، والثالثة قوله تعالى في الآية 64 من سورة الإسراء : {واستفزز من استطعت منهم بصوتك} ، انظر : نفس المصدر ج51/14.

(4) انظر : المصدر السابق ج55/14.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم 6049 بَاب ما جاء في الصحة والفراغ وأن لَا عَيْشَ إلا عَيْشُ الْآخِرَةِ ،صحيح البخاري 5 /2357..

ومن أشد وأخطر الرغبات المادية التي أمر الإسلام المسلم بالاحتراز منها والابتعاد عنها الشراهة : التي تعني الإسراف في شهوة الطعام ، لأنها تذكي الرغبة الجنسية وتؤدي بصاحبها إلى اعتبار الحياة مجرد متع مادية ، فيتصرف في حياته كتصرف البهائم التي لا هم لها إلا الأكل والشرب ، فتضعف فيه الصفات الروحية كالإحسان والتضحية وإنكار الذات لتحل محلها الأنانية والقسوة والميل إلى الترف والفسوق فيصبح بذلك عضواً فاسداً في المجتمع الذي يعيش فيه .

من أجل ذلك جاءت النصوص القرآنية محذرة من هذه الرذيلة التي تبعد صاحبها عن الله وتوجب كرهه له ، قال تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾[1]، كما أن الشراهة تؤدي إلى تبلد الإنسان وتصرف صاحبها عن تغذية عقله وروحه فينصرف بذلك عن تزكية نفسه عن النقائص والرذائل فيصبح كالحيوان في التصرف والأفعال ، لذلك عدّ الله تعالى هذه الصفة من بين صفات الكافرين فقال تعالى : ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوًى لهم ﴾[2].

وقد حثت السنة المطهرة على فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب و ترك شهوات النفس، ففي الصحيح عن السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت : ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض" [3] ، وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال : " لقد رأيت نبيكم ﷺ ، وما يجد من الدَّقل[4] ما يملأ به بطنه " [5] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "اللهم اجعل رزق آل محمدٍ قوتاً "[6]، وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ :" يا ابن آدم : إنَّك أن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك ، ولا تلام على

---

(1) الأعراف آية : 29.

(2) محمد آية : 13.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2970 كِتَاب الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، صحيح مسلم 4 / 2272.

(4) تمر رديء .

(5) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 2977 كِتَاب الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، صحيح مسلم 4 / 2284 .

(6) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1055 بَاب فِي الْكَفَافِ وَالْقَنَاعَةِ، صحيح مسلم 2 / 730.

كفاف ، وابدأ بمن تعول "[1]، وعن أبي كريمة المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرّاً من بطنه بحسب ابن آدم أُكُلاتٌ يُقِمنَ صُلَبهُ ، فإن كان لا محالة، فثُلُثٌ لِطَعَامهِ وثُلُثٌ لِشرابهِ وثُلُثٌ لِنَفسِهِ "[2]

فالواجب على المسلم أن يعتدل في مأكله ومشربه وأن يبتعد عن رذيلة الشره لتزكو روحه وترتفع مكانته عند خالقه.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم على رواية الإمام قالون :

- الترغيب والترهيب : زكي الدين : عبد العظيم المنذري (ت 656هـ) ، تحقيق وشرح مصطفى عماره ، ط2، مصر، 1954.
- جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي، دار الكتاب العربي بيروت.
- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله القرطبي (ت 671هـ) ، دار الشام للتراث، ط:2 ، (د.ت).
- "الجامع الصغير": تأليف الإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط: عبد الحميد أحمد حنفي القاهرة.
- روح الدين الإسلامي : تأليف عفيف عبد الفتاح طبّاره ، دار العلم للملايين بيروت ، ط : 20، 1980.
- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين : أبو زكريا : يحي بن شرف النووي (ت 676هـ) ، طبعة دمشق ، 1976م.
- سنن النسائي بشرح حاشية جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، دار الكتب العلمية بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ.
- شرح فتح القدير للعاجز الفقير: ابن عبد الواحد ، دار إحياء التراث العربي بيروت.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم 1036، بَاب بَيَانِ أَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا خَيْرٌ من الْيَدِ السُّفْلَى وَأَنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ وَأَنَّ السُّفْلَى هِيَ الْآخِذَةُ صحيح مسلم 2 /717.

(2) أخرجه الترمذي في السنن /2381 ، والإمام أحمد في المسند : 132/4.

- الشرح الكبير على متن خليل : أبو عبد الله : محمد بن عبد الله الخرشي (ت 1690م) ، المطبعة الشرفية بمصر، 1317هـ.
- صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي بيروت، س:1958م.
- صحيح مسلم: أبو الحسن مسلم بن الحجاج (ت 261هـ): دار إحياء التراث بيروت.
- فتح الباري: شرح صحيح البخاري تأليف الإمام أحمد بن علي بن حجر، ط : السلفية دار المعرفة بيروت.
- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد : أحمد بن عبد الرحمن البنا (ت 1378هـ) ، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منصور الأفريقي (ت 711هـ) ، دار الحديث القاهرة، 2003م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت 807هـ)، ط:3، دار الكتاب العربي بيروت 1967م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط : 2، س : 11391هـ 1971م، دار المعارف مصر.
- "الموطأ" تأليف الإمام مالك: تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، ط: عيسى الحلبي القاهرة، دار التراث العربي.